تاريخ الفكر الفلسفي
في الإسلام
... ... دار الكلام - الفلسفة الإسلامية

تاريخ الفكر الفلسفي

في الإسلام

المقدمات العامة - الفرق الإسلامية وعلم الكلام - الفلسفة الإسلامية

الأستاذ الدكتور

محمد علي أبو ريان

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - الاسكندرية

ت: ٤٠١٣٠١٦٣

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الثانية

لقد صدرت الطبعة الأولى في بيروت في صورة تختلف بعض الشيء عن الطبعة التي نحن بصددها . ذلك لأننا أجرينا تعديلات على الكتاب في جملته ، مادة وشكلاً .

فمن حيث الشكل نجد الجزء الأول من الكتاب في هذه الطبعة مشتملاً على : المقدمات وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية . وسيختص الجزء الثاني بدراسة الحركة الروحية في الإسلام وشخصيات الصوفية ومواجدهم .

هذا وقد أضفنا الجديد على مادة الكتاب ولا سيما في الفصل الخاص بالفارابي ، إذ تعرضنا لدراسة « المدينة الفاضلة » عنده تفصيلاً ، وعقدنا مقارنات مستفيضة بين آراء كل من الفارابي وأفلاطون بهذا الصدد ولم تخل الفصول الأخرى في الكتاب من إضافات أو تنقيحات أو استدراكات على الطبعة الأولى ومع هذا فإننا نرجو أن تتاح لنا فرصة تالية لطبع الكتاب في غير هذه الظروف الملحة ، حتى نستطيع أن نصل به إلى المستوى الأكمل من حيث الطبع والمادة العلمية إن شاء اللّه .

ولا يسعني ـ وقد اكتملت طبعة الكتاب ـ إلا أن أتوجه بالشكر إلى تلميذي السيد / محمد محمد قاسم المعيد بقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، فقد تحمل عبء مراجعة تجارب الكتاب وإنجاز فهارسه ، فله مني خالص الشكر .

وإلى الله العلي القدير نتوجه بدعوات من شغاف القلب أن يهبنا من القوة والعزم على أن نعمل ما فيه صلاح الأمور ، وتثبيت السرائر ، وترسيخ الأقدام وتأصيل العلوم .

وإليه المرجع والمآب ، ومنه التوفيق سبحانه .

المؤلف

د . محمد علي أبو ريان

تصدير[1]

على الرغم من أن القرآن لا يعتبر في جوهره كتاب فلسفة أو علم على النحو الذي نعهده في تصانيف العلوم ، إلا أن آياته الكريمة تحض المؤمنين وغيرهم على النظر في ملكوت السماء والأرض والتأمل في بديع مخلوقات الله وعجائب صنعه ، حتى يستدلوا على وجود الخالق من آثار خلقه ، فتكون الموجودات دالة على وجود موجودها . وحينما واجه الدين الجديد الأديان والنحل الأخرى التي سبقته إلى الانتشار في نفس المنطقة كالصابئة واليهودية والمسيحية ، كان على حملة العلم والمثقفين من المسلمين أن يهبوا للدفاع عن الدين في مواجهة الخصوم ، فينشأ علم الكلام . وتتعقد مشكلة الحكم والخلافة ، فيتفرق المسلمون إلى شيع يدعم كل منها موقف كلامي ، وسرعان ما تلتاث هذه المواقف بالفلسفة بعد أن يعرف المنطق والفلسفة اليونانية طريقهما إلى الحياة العقلية عند المسلمين ، فتنشأ الفلسفة الإسلامية . وفي خضم هذا الصراع السياسي والجدل العقائدي نرى فريقاً من خلصاء المؤمنين يهرعون للنجاة بأنفسهم من مغريات العصر وشروره ، وهم يشخصون بأبصارهم - في حزن وأسى - إلى الماضي القريب ، إلى السيرة العطرة لصاحب الدعوة (ص) وتابعيه بإخلاص إلى يوم الدين ، فيتجردون عن

---

(١) مقدمة الطبعة الأولى ١٩٧٠ بيروت

العلائق بالكلية ويعكفون على العبادة والتبتل والتهجد قبلتهم الأخرة وحسن المآب ، فيكون من هؤلاء . الزاهدون ، والسائحون والبكاؤون والصوفية ـ وتختلط هذه الحركة الروحية بالفلسفة : فينشأ علم التصوف الإسلامي

وهكذا تكاملت فروع الفلسفة الإسلامية الثلاثة وهي : علم الكلام والتصوف والفلسفة ، باعتبار المنطق أداة للفلسفة بحسب النظرية الأرسطية التي لقيت القبول عند المسلمين وكتابنا هذا يتناول في جزءيه : هذا التراث العقلي الإسلامي في جملته فالجزء الأول منه يشتمل في قسمه الأول على دراسة موجزة للمقدمات العامة للفلسفة الإسلامية ، ثم نشأة علم الكلام ومدارسه . ويختص القسم الثاني بدراسة عامة للتصوف الإسلامي أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فقد اقتصرنا فيه على المواقف الفلسفية البحتة في الإسلام.والأمر الذي لا مراء فيه أن التاريخ للحياة العقلية عند المسلمين ، لا تكفي فيه هذه الصفحات المحدودة ، وقد يكون في عملنا هذا إغفال لتفصيلات أو لشخصيات لها قدر من الأهمية،ولكننا أردنا أن نعطي للقارىء فكرة عامة تغطي هذا المجال حتى تتحدد أبعاده الرئيسية ، بحيث تكون هذه الدراسة حلقة من سلسلة تاريخ الفكر الفلسفي العام الذي سبق لنا أن أخرجنا منها كتابين في الفلسفة اليونانية ، وكتاباً آخر في الفلسفة الحديثة ، ولا يبقى على اكتمال هذه السلسلة التاريخية للفكر الفلسفي العام ـ بعد إخراجنا للكتاب الذي نقدم له اليوم ـ سوى مؤلف عن الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى ، نشرع الآن في الإعداد لإخراجه .

ونحن نرجو أن نكون بعملنا هذا قد أسهمنا في إقامة الصرح الثقافي الشامخ لبلادنا ولأمتنا الكبرى في مسيرتها المظفرة نحو مستقبل مشرق مجيد ، يؤسسه العقل ويدعمه الإيمان . واللّه الموفق سواء السبيل .

دكتور محمد علي ابو ريان

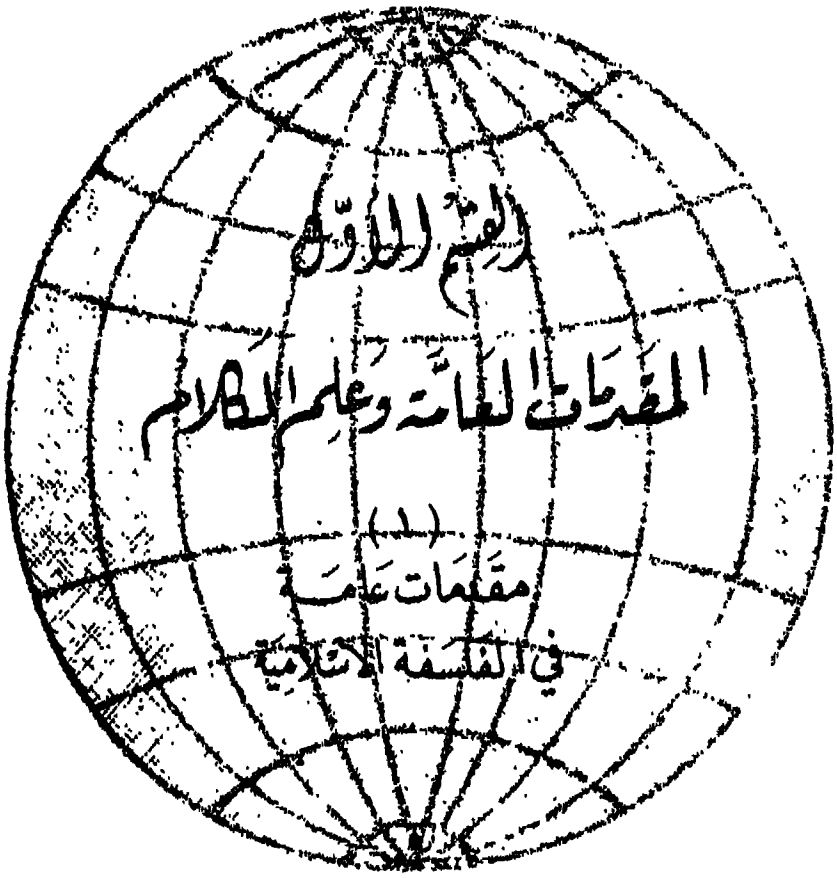
القسم الأول
المقدمات العامة وعلم الكلام
(١)
مقدمات عامة
في الفلسفة الإسلامية

الفصل الأوّل

مقدمة عامة

ليس هناك شك في أن التفكير الفلسفي المنظم قد بدأ عند اليونانيون ، فقد تناولوا مشاكل العالم والنفس والألوهية وناقشوها بأسلوب منطقي ، واتخذوا بصددها مواقف خاصة . أي « مذاهب » دافعوا عنها بالحجج والبراهين العقلية . وقد أقاموا هذه المذاهب على أساس تسليم يقيني بأن ثمة قانوناً أزلياً Logos ينظم سائر الظواهر ، وأن شيئاً ما لا يخرج عن دائرة هذا القانون . وبهذا تحدد مفهوم الفلسفة في نشأتها الأولى . واستبعدت من مجالها نظرات الشعوب وخطراتها العقلية التي لا تحمل في طياتها تبريراً منطقياً مقنعاً .

على أن انتشار الفلسفة اليونانية في شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط أي في منطقة ظهور الأديان السماوية الكبرى اليهودية والمسيحية والإسلام جعل من الضروري أن تتم المواجهة المباشرة بين الفلسفة وهذه الأديان ، لا سيما وأن الموضوعات التي تصدى لمعالجتها الفلاسفة لا تبتعد كثيراً عما تعرضت له الأديان مع اختلاف في المنهج والغاية ، فالفلسفة تعتمد

على التفسير العقلي أما الدين فإنه يستند أولاً إلى الدليل النقلي . ومعيار الصواب عند الفيلسوف يقوم على أساس عدم التناقض المنطقي ، ويستند في مجمله إلى المبادىء الأساسية للمنطق العقلي ، أما في مجال الدين فإن الإيمان المطلق بصدق الوحي والتصديق بالرسالات هو كل ما يعطي للحقيقة سندها وتبريرها في الواقع .

وكان لا بد من أن تفضي المواجهة بين الفلسفة والدين إما إلى تعارض أو تزاوج أو تأثير أو تأثر على أي صورة من صور انتشار التيارات الثقافية . وإذن فقد كان من المؤكد ألا يتجاهل الدين قضايا الفلسفة ومسلماتها لا سيما عند الخصوص ، أي أرباب النظر العميق وأصحاب الثقافات الغير المستمدة من النصوص الدينية وحدها .

وكان من المستحيل أيضاً أن يقبل هؤلاء طواعية موقفاً يزدوج فيه الولاء للدين والفلسفة ، بحيث يسيران معاً في حياد وتواز دون أدنى محاولة للالتقاء أو التفاعل .

لقد كان رجال الصدر الأول في كل دين يتحرون الابتعاد عن أسلوب التفسير العقلي للنصوص الدينية ويرفضون جميع صور التأويل التي تجعل للنص ظاهراً وباطناً ويقنعون بالاستعداد المباشر من ظاهر النصوص ، ولهذا فقد رفض الرعيل الأول من أتباع هذه الأديان السماوية ، أية محاولة للالتقاء بين الفلسفة والدين .

وحينما اشتد هجوم أصحاب الثقافات الفلسفية الوثنية على المسلمات الدينية اضطر نفر من أرباب النظر من المؤمنين إلى التسلح بالمنطق للرد على المخالفين والمعترضين على العقيدة . وهكذا نشأ علم الكلام المسيحي ، وكذلك علم الكلام الإسلامي ، غير أن هؤلاء المتكلمين لم تتح لهم الحرية الكاملة في استخدام أسلوب التبرير العقلي لأركان العقيدة وقضايا الدين ، بل كانوا يستندون أولاً إلى إيمان كامل بصحة العقيدة وصدق الرسالات .

ولما ظهر قصور هذا المنهج في حق من لا يسلم بالعقيدة أصلاً . وكانت الفلسفة لا تقوم على النقل أو الإيمان بل تبدأ من نقطة الصفر ولا تسلم إلا بقواعد المنطق الأساسية ، لهذا كان لا بد من أن تتطور المواقف الكلامية ويتعدل أسلوبها لكي تلتقي مع النظرة الفلسفية . وبذلك تكتمل أسباب التبرير العقلي لمفاهيم الدين وقضاياه .

ولقد كان هذا هو مسار الحركة الكلامية عند المسيحيين والمسلمين على السواء ، وقد تمثل هذا الاتجاه في مواقف المعتزلة المتأخرين وفي كتب علم الكلام المتأخر كما هو الحال في كتاب « المواقف » لعضد الدين الايجي ، غير أن استمداد الفلسفة من علم الكلام المتطور قد حدث في زمن قبل هذا .

فنحن نلاحظ أن الكثير من مواقف ابن سينا الفلسفية إنما يرجع في أصله إلى مشكلات علم الكلام .

ومن ثم فإن التقاء الفلسفة بالدين كان لا بد من أن يتم وأن يتخذ صورة التوفيق بين النقل والعقل ، والتعايش الذي لا مفر منه بين مسلمات العقل ومسلمات الوحي والعقيدة ، وبهذه الصورة ظهرت الفلسفة الإسلامية التي تعتبر محاولة للتوفيق بين الفلسفة اليونانية في صورتها المتأخرة وقضايا الإسلام الأساسية .

غير أن هذه المحاولات لم تمر بسلام ، فقد حدثت ردود فعل مختلفة ، وبدرجات متفاوتة إذ تصدى الغزالي للفلسفة وكفر متحليها في مسائل معينة ولكنه ارتضى منها بعض مسائل أخرى ، بينما نجد ابن تيمية ومدرسته ومن هم على شاكلته من المتشددين في التمسك بالصورة الأولى المخلصة للإسلام عند بدء ظهوره ، يرفضون كل دعاوى الفلسفة والمنطق .

على أن فريقاً ثالثاً من المؤمنين ممن نبذوا أسلوب اللجاج العقلي ومضوا شوطاً بعيداً في طريق الإيمان الخالص والحب الصادق والنشوة الحمسة سلكوا مسلك الزهد والتقشف خوفاً على العقيدة من مغبة الخلاف الذي

استشرى حول مشكلة الإمامة والآي المتشابه وهرباً من مغريات الترف وحياة الحضارة التي اقبلت على المسلمين بعد فتوحاتهم المظفرة ، وبذلك ظهرت طوائف الزهاد والعباد الخاشعين والبكائين من أصحاب المواجد والأذواق الذين وضعوا البذور الأولى لقيام الحركة الصوفية في الإسلام ، وقد ظهر التصوف كرد فعل تطهري على جميع صور الجدل حول العقيدة ، وكذلك ضد تيار التزمت الفقهي ، ويلاحظ أنه قد ظهر اتجاه غالب إلى الزهد والتصوف بعد أن استشرى خطر محنة خلق القرآن .

وقد رفض المتصوفة الأوائل استخدام المنهج العقلي في التفسير وسلكوا طريق الحب والذوق والرياضة والمجاهدة ، وهم يقولون بالمعرفة المباشرة للحقائق الدينية أي بالذوق أو بالحدس وهو ضرب من الاتصال أو الاحتكاك المباشر بالجهد الخلاق ، تتم خلاله المشاهدة العيانية لما وراء الحس من ذوات مجردة .

وعندما ذاعت قضايا الفلسفة واعتنقها المسلمون ، كان على أساطين حركة التصوف الإسلامي أن يفسحوا لها مجالاً في مواقفهم المذهبية ، وهكذا ظهر تيار التصوف الفلسفي عند ابن سيناء والسهروردي الخ .

وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن التراث العقلي والروحي عند المسلمين تنحصر دراسته في فروع ثلاث :

- علم الكلام .
- الفلسفة البحتة .
- أخيراً التصوف بأنواعه .

الفلسفة الإسلامية ومنزلتها من الفكر الفلسفي الإنساني

إذا كانت الفلسفة اليونانية هي الصورة الكاملة الأولى للفكر الفلسفي الإنساني فهل تعد الفلسفة الإسلامية مجرد استمرار للحركة الفلسفية عند

اليونان أم أنها انتاج عقلي أصيل ينتمي إلى البيئة التي أصدرته بأكثر من سبب ؟

لقد اختلف الباحثون في تقدير منزلة الفلسفة الإسلامية من التراث الإنساني الفلسفي ، فذهبت طائفة من المؤرخين إلى أن المسلمين لم تكن لهم فلسفة خاصة بهم ، بل لقد بالغ نفر من هذا الفريق فأرجع ذلك إلى ضحالة العقلية الإسلامية وعجزها عن تعمق مشكلات الفكر وسبر أغوار المذاهب الفلسفية ، والإسهام فيها بجديد يذكر ، ويستحق أن يضاف إلى حصيلة الفكر العالمي المتصل .

ولا شك أن الفريق الأول من الطائفة المنكرة لأصالة الفلسفة الإسلامية إنما يرجع في دعواه إلى أن الفلسفة اليونانية قد سدت منافذ الإبداع الفلسفي على اللاحقين إذ أنها ـ بحسب رأيهم ـ قد أكملت رسالة الفلسفة في تفسير الكون والإنسان المبدع الأول ، ومن ثم فلم يبق للخلف إلا أن يجيد النقل عنها ويتقن الشرح لنصوصها والإبانة عن متعلقاتها ، والتعليق على مسائلها ، وقد سار على هذا الدرب الهللينيون والرومان والمسيحيون ومنهم السريان ، وكان على المسلمين أن يتسلموا هذا التراث عن هؤلاء فيسلموه إلى المدرسين وفلاسفة القرون الوسطى من المسيحيين واليهود . فكأن دور المسلمين في هذه السلسلة لم يخرج عن كونهم نقلة للعلم الفلسفي اليوناني .

وكان قصارى جهدهم ـ بحسب هذا الزعم الأخير ـ أن يجيدوا نقله إلى اللغة العربية بدون تعديل أو تحوير أو معارضة جدية، فتكون الفلسفة الإسلامية هي بعينها فلسفة اليونان كتبت بلغة عربية، وبذلك ينتفي أن يكون للمسلمين أي فضل في المشاركة في تكوين هذا التراث والاسهام في حل قضاياه أو بمعنى آخر إنكار أن يكون للعرب أو المسلمين إنتاج فلسفي ذو أصالة أو إبتكار .

وثمة صورة أخرى للخلافات الدائرة حول مشكلة الفلسفة الإسلامية وهي تتعلق بتسمية هذا التراث، فهل هو تراث فلسفي عربي إستناداً إلى أن

اللغة العربية كانت لغة الإنتاج الفلسفي ، وأن القرآن وهو دستور المسلمين قد نزل بالعربية ، وكذلك لأن العرب هم اصحاب الفورة الإسلامية التي حددت مصير الإسلام وأعطته الدفعة الأولى القوية على طريق النجاح والإنتشار ، أم أن هذا التراث يعد فلسفة إسلامية من حيث أن منتحليها وكبار شخصياتها كان معظمهم من شعوب إسلامية غير عربية أي من الفرس والخراسانيين والأتراك .

رأي القائلين بأنها فلسفة عربية :

يرى أصحاب هذا الرأي ومنهم مستشرقون وقليل منهم من المؤرخين العرب[1] أن الفلسفة العربية نشأت في أحضان الثقافة العربية التي تمثلت في القرآن وفي العلوم العربية التي صدرت عن الجنس العربي ، فالعرب هم الدعامات الأولى للحضارة العربية بما فيها من أنشطة مادية ومعنوية ، ومن ثم فان التراث العقلي الفلسفي العربي إنتاج عربي مدين بوجوده للجنس العربي من حيث أن العرب هم الذين حملوا لواء الدفعة الأولى للدين وللثقافة الإسلامية .

القائلون بانها فلسفة إسلامية :

على أن هذا الرأي القائل بأنها فلسفة عربية لا يثبت أمام النقد العلمي الدقيق ، فعلى الرغم من أن العرب هم الرواد الأوائل للثقافة الإسلامية ، إلا أن اطراد تقدمها وسعة انتشارها لم يتحقق إلا بفضل مساهمة الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية من فرس وخراسانيين ومصريين وأتراك ، وقد

---

(١) من المستشرقين : منك ، ودي وولف ، وأميل برييه ، ونللينو ، ومن العرب : لطفي السيد ، وأفراد آخرون معاصرون ممن يتخوفون من أن ينسحب مفهوم التسمية الإسلامية على المعنى العقائدي للإسلام ، وسنرى أن التمييز بين معنيي : الاسلام الحضاري والإسلام العقائدي سيزيل هذا اللبس ، بحيث يمكن أن نسمي الفيلسوف اليهودي أو المسيحي الذي أنتج فلسفة في ظل الحضارة الإسلامية ولي سياق مضامينها وروحها ـ فيلسوفاً إسلامياً بالمعنى الحضاري لهذه الصفة دون أن تمس هذه التسمية عقيدته الأصلية

كتب بعضهم بالعربية أو بلغاتهم الأصلية ، هذا بالإضافة إلى مجهودات أفراد من المسيحيين واليهود ممن أظلتهم الحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر .

ومن ناحية أخرى فانه لو لم تتح للعرب فرصة حمل رسالة الاسلام والخروج بها من دائرة حياتهم الجاهلية شبه المغلقة ، لما تيسر لهم التعرف المتكافىء على التراث العقلي للعالم القديم ، فتاريخ العرب العقلي في العصر الجاهلي لم يحمل أي بذور تصلح للتطور بقوتها الذاتية فتنشأ عنها مواقف فلسفية جادة .

وكذلك فاننا إذا استعرضنا موضوعات التفكير الكلامي أو الفلسفي في أول نشأته عند المسلمين فاننا نجدها موضوعات إسلامية بحتة يثور الجدل حولها إما في مواجهة المنحرفين والمعترضين على الدين أو في مواجهة موجة التزمت السني ، والتزام حرفية النصوص الدينية ، أو التحجر الفقهي الذي كاد يعصف بما في الدين من شحنات روحية مشتعلة وإيمان دافق حمس . على أنه لا يمكن القول بأن الفلسفة الإسلامية ليست سوى مجموعة آراء ومواقف مفسرة للنصوص الدينية تفسيراً عقلياً بحيث تدور حول مشكلات الدين الأساسية كالتوحيد والخلق والمعاد فحسب ، وتستهدف غاية دينية بحتة ، ولئن صح هذا على علم الكلام فانه لا يمكن أن ينسحب على مجمل الإنتاج الفلسفي عند المسلمين ، وذلك لأن فلاسفة المسلمين تلقوا ـ من الخارج ـ مجموعة مضطربة وتلفيقية من تيارات الفكر الفلسفي الأجنبي وحاولوا التوفيق بينها وبين الدين كما فعل ابن رشد ، كما أن لهم مواقف فلسفية خاصة تميزت بحلول مبتكرة ذات طابع فكري حر وجاءت متأثرة بالمناخ العقلي الإسلامي[1] .

وقد أشار فريق من الإسلاميين ـ ومن بينهم الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى أنه لا يصح أن نجري أي تغيير في التسمية التي ارتضاها كتاب المسلمين

---

(١) من القائلين بأنها فلسفة اسلامية : هورتن ودي بور وجوتييه ، وكارادفو .

السابقين من أصحاب هذا التراث ، فقد وضعوا لهذا التراث العقلي اسماً خاصاً فلا يجب أن نحيد عنه[1] فقد تكلموا عن الإسلام أو الفلسفة الإسلامية أو فلاسفة الإسلام أو متفلسفة الإسلام .

المنكرون للفلسفة الإسلامية :

أصحاب هذا الرأي ينكرون على فلاسفة الإسلام الجدة والاصالة في تفكيرهم الفلسفي ، ويعتبرونهم مجرد نقلة للتراث اليوناني الفلسفي ، أي وسطاء أدوا دوراً كان لا بد لهم أن يؤدوه في عملية نقل التراث ، فقد كان عليهم أن يؤدوا دورهم في نقل تراث اليونان الفلسفي والعقلي إلى المسلمين في عهد إزدهارهم .

وهذه الطائفة من المنكرين تبني آراءها على أساس دعوى عنصرية خطيرة . تشكك في قدرة العقل العربي على التفلسف وترى أنه ليس في مقدور العرب أن يتفلسفوا لأنهم من الجنس السامي ، وهذا الجنس لا قدرة له على تناول الأمور المجردة بينما شعوب الجنس الآري ـ واليونانيون القدماء منهم ـ هم وحدهم أصحاب المقدرة على ذلك .

وكان الكونت جوبينو هو أول من أثار هذه المشكلة وميز الجنس الآري على الجنس السامي بصفة عامة ، وجاء مستشرق آخر وهو كارل هينرش بيكر وقارن بين الفن عند الساميين والفن عند الآريين وذكر أن الفنون السامية تظهر فيها المصغرات السيمترية المتكررة التي لا تجمعها وحدة تركيبية أما الفنون الآرية فانها تتميز بالتركيب القائم على وحدة الموضوع ، وفيما يختص بالفلسفة يرى بيكر أنه بينما تخضع الروح الإسلامية للطبيعة الخارجية فتفني الذوات الفردية في كل لا تمييز فيه فلا تتصور الأفكار إلا على الإجماع ـ نجد أن الروح اليونانية تمتاز بالفردية واحترام الذاتية وهما محك النظر الفلسفي ،

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ـ القاهرة ١٩٤٤ ـ الطبعة الأولى ص ٢١

ولهذا فقد كان اليونانيون أقدر على التفلسف من المسلمين[1]

وكذلك استند رينان وكوزان وجوتييه إلى الدراسات اللغوية ليحرجوا منها إلى تقييم الشعوب إلى سامية وآرية ، وأفراد خصائص ثابتة لكل من الجنسين وقال رينان بهذا الصدد «أنا أول من عرف أن الجنس السامي إذا قورن بالجنس الهندي الأوروبي يعتبر حقاً تركيباً أدنى للطبيعة الإنسانية ، فالروح السامية تمتاز بالوحدة والبساطة أما الروح الآرية فانها تمتاز بالكثرة والتعقيد والساميون يعتنقون التوحيد المطلق الذي يتمشى مع فطرتهم الساذجة ، وقد أثر هذا على نظمهم السياسية والاجتماعية والدينية »

وتابع جوتييه موقف رينان وذكر أن العقل السامي عقل مباعدة وتفريق يدرك الجزئيات دون ربط بينها أما العقل الآري فهو عقل جمع ومزج وتركيب يربط الجزئيات في كل متناسق وهو يؤلف بين الأشياء بوسائط تدريجية متداخلة متدانية[2] .

وقد أجمل جوتييه مناقشة المشكلة التي أثارها هؤلاء العنصريون قائلاً : « أن هذه هي عقلية الدين الاسلامي (السامية) وروحه في حقيقتها ووقائعها ما ظهر منها وما بطن ، هو دين سام بحت مفرق وموحد بأضيق المعاني وغير عقلي ، لا يتفق والتفكير الحر ، وقليل الميل إلى التصوف ، ولو في عهده الأول على الأقل ، ومن ثم في روحه الحقة ومن المحال أن نتصور ديناً أكثر منه تعارضاً مع الفلسفة الاغريقية الآرية بأعمق المعاني ، إذ هي فلسفة مجمعة حلولية عقلية حرة التفكير مثالية وتصوفية[3] »

وبناء على هذه النتيجة العامة التي ساقها جوتييه يكون العقل السامي

---

(١) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية تراث الأوائل ، كارل هيرش بيكر ترجمة ع بدوي

(٢) جوتييه المدخل إلى الفلسفة الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٦٦

(٣) المدخل ص ١٧٦

عاجزاً عن استخلاص القوانين والقضايا ووضع الفروض أو النظريات ، ومن ثم فانه يمتنع على العقلية الإسلامية أن تنتج آراء علمية أو مذاهب فلسفية وبذلك تكون الفلسفة الإسلامية نوعاً من التكرار للفلسفة اليونانية .

وثمة رأي آخر معارض ساقه أوليري الذي يذهب إلى القول بأن العقل العربي عقل يكلف بالماديات ، ولهذا فهو غير معد بالطبيعة للنظر الفلسفي الذي يسمو على الماديات . وقد غلب على العرب التنافس والنضال في الحياة لصعوبة المعيشة ، فلم يعنوا بما وراءها من مطالب العقل الرفيعة . وإذا صح هذا على العرب في حال الجاهلية والبداوة فلن يصدق عليهم بعد أن تحضّروا .

الرد على دعاة النظرة العنصرية :

الواقع أن الردود العلمية الحاسمة على دعاة النظرية العنصرية كان لها أثرها في دحض آرائهم التي أخذت في التلاشي تدريجياً منذ أوائل القرن العشرين وساعد على ذلك يقظة الشعوب السامية التي كانت خاضعة للاستعمار وأخذها بجميع وسائل المدنية الحديثة وظهور أدباء وعلماء وفلاسفة من بينها ، الأمر الذي يكذب دعوى التحجر الجنسي وانطواء كل جنس على قدرات ثابتة لا تتغير مع الزمن . وقد هوجمت فكرة الجنس الذي يتصف بخصائص ثابتة ، فمن الناحية الفسيولوجية نجد أن العلماء قد دللوا على نسبية المقاييس التشريحية التي وضعت لتحديد أنماط الأجناس المختلفة اعتماداً على لون الشعر ولون العينين ومقياس الجمجمة (مثال : تجربة أجريت على شعب الباسك في شمال اسبانيا) وكذلك فانه لا يمكن اعتبار الجنس وحدة سيكولوجية ، فقد أشارت أبحاث علم النفس للجماعات وعلم النفس الاجتماعي إلى أن التزاوج والغزو والهجرات وما يتبعها من انتشار ثقافي يجعل من العسير بل من المستحيل أن نتكلم عن جنس نقي مغلق يعيش تحت ظروف جغرافية ومكانية ثابتة ، ذلك أن صفات الأمم كما يقول جبرييل تارد تتغير تبعاً للتطور التاريخي ، ويصبح التعليل الذي يستند إلى الطبيعة الثابتة